محن المسلمين في مكة قبل الهجرة وأثرها الايجابي على المجتمع الإسلامي

نكتل يوسف محسن

جامعة الموصل / كلية التربية الأساسية / قسم التاريخ

(قدم للنشر في ٢٠١٨/٥/١٥ ، قبل للنشر في ٢٠١٨/٧/١)

ملخص البحث:

المحن التي يمر بها الإنسان – أي إنسان – تعتبر من أصعب مراحل حياته لذلك فأنها توصف بأسوأ الأوصاف مثل المحنة أو البلية أو الكربة . . . .الخ لما تحمله من اثر سيء على النفس ، غير إن هذه المحن التي ظاهرها سوء تحمل بين طياتها الكثير من الفوائد التي لا يراها الى المتفحص لهذه المحن القريب منها مكاناً أو دراسةً ولعل ذلك ما عبر عنه الله سبحانه وتعالى بقوله : ((وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ. . .)) الآية ، والمجتمع الإسلامي من المجتمعات التي مرت به هذه المحن مروراً مريراً أودى بحياة الكثير منهم غير إن هذه التضحيات لم تذهب سدى فقد كانت لهذه المحن الفوائد الجليلة ، بدأت هذه المحن مع إعلان النبي الدعوة العلنية فقرر المشركون من قريش إن يجهضوا هذه الدعوة التي تهدد كيانهم ووجودهم ومصالحهم واستمرت وتطورت كلما حقق المسلمون انجاز ما ، وقد تمت دراسة الموضوع من الناحية الدينية حيث تقع الدراسة في هذا المحيط بما في ذلك الصراع بين الإيمان والشرك ، كما ودرست من الناحية الاجتماعية وذلك بما تركته هذه المحن من اثر في نفوس الصحابة الكرام رضوان الله عليهم وما حققته من فوائد ، ودرست كذلك من ناحية تاريخية حيث مثلت حقبة مهمة من حقب السيرة النبوية في مراحلها الأولى، فضلا عن الجانب السياسي الذي مثلته صراع أصحاب النفوذ من المشركون واليهود مع دولة المدينة التي يرأسها نبي الإسلام ، تم بحث الموضوع من عدة جوانب منها جوانب دينية واجتماعية وتاريخية وسياسية فضلا عن الجانب الأخروي لما أعده الله من نعيم للصابرين على المحن .

The Plight of Muslims in Mecca before Immigration and its Positive Impact on the Islamic Community

Abstract:

The ordeals experienced by man - any human being - are considered one of the most difficult stages of his life so they are characterized by the worst descriptions such as distress or weariness or distress ... etc, because it carries a bad impact on the soul, but these misfortunes, The benefits that do not see to the examiner of these ordeals close to a place or study Perhaps this is what God Almighty said by saying: (and may hate something is better for you ...)) verse, and the Islamic community of societies that have experienced these trials through bitter Many of them died, but these sacrifices were not wasted N great benefits, these tribulations began with the announcement The Prophet, the public call, decided that the polytheists of Quraysh would abort this call which threatens their existence, existence and interests and continues and develops whenever Muslims achieve something.

المقدمـــة

الحمد لله رب العالمين معين الصابرين والصلاة والسلام على اشرف المرسلين محمدا وعلى اله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان الى يوم الدين وبعد

تناولت في بحثي الموسوم بـ ((محن المسلمين في مكة قبل الهجرة وأثرها الايجابي على المجتمع الإسلامي)) المحن التي يمر بها الإنسان – أي إنسان – والتي تعتبر من أصعب مراحل حياته لذلك فأنها توصف بأسوأ الأوصاف مثل المحنة البلية الكربة . . . .الخ لما تحمله من اثر سيء على النفس ، غير إن هذه المحن التي ظاهرها سوء تحمل بين طياتها الكثير من الفوائد التي لا يراها الى المتفحص لهذه المحن القريب منها مكاناً أو دراسةً ولعل ذلك ما عبر عنه الله سبحانه وتعالى بقوله : ((وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ . . .)) الآية ، والمجتمع الإسلامي من المجتمعات التي مرت به هذه المحن مروراً مريراً أودى بحياة الكثير منهم غير إن هذه التضحيات لم تذهب سداً فقد كانت لهذه المحن الفوائد الجليلة ، لذا ارتأيت أن اكتب في هذا الموضوع الذي لا يخلوا من أهمية فضلا عن كونه ذا حداثة كما انه يوصل رسالة حية للمسلمين في وقتنا الحاضر مضمونها أن ليست كل المحن ذات مردود سيء على الفرد والمجتمع بل إن من المحن من تنطوي على فوائد كثيرة كما سنذكر في فصول البحث القادمة .

بدأت هذه المحن مع إعلان النبي الدعوة العلنية فقرر المشركون من قريش إن يجهضوا هذه الدعوة التي تهدد كيانهم ووجودهم ومصالحهم ، قمت بدراسة الموضوع من عدة جوانب منها الجانب الديني حيث تقع الدراسة في هذا المحيط بما في ذلك الصراع بين الإيمان والشرك ، كما ودرست من الجانب الاجتماعي وذلك بما تركته هذه المحن من اثر في نفوس الصحابة الكرام رضوان الله عليهم وما حققته من فوائد ، ودرست كذلك من الجانب التاريخي حيث مثلت حقبة مهمة من حقب السيرة النبوية في مراحلها الأولى، فضلا عن الجانب السياسي الذي مثلته صراع أصحاب النفوذ من المشركون واليهود مع دولة المدينة التي يرأسها نبي الإسلام ، فضلا عن الجانب الأخروي لما أعده الله من نعيم للصابرين على المحن .

اشتمل العمل على أربعة محاور رئيسية تحدث الأول عن معاناة المسلمون الأوائل وتكون بدوره من مطلبين : الأول تحدث عن معاناة المسلمين الأوائل في مكة ، إما الثاني فتحدث عن اثر هذه المحنة على المجتمع الإسلامي وقسم الى قسمين اختص الأول بالاثار الايجابية العامة للدعوة الإسلامية أما القسم الثاني فكرس للاثار الايجابية الخاصة التي اختص بها بعض الصحابة ، فيما كان

المبحث الثاني عن تأخر استجابة القبائل لدعوة النبي وتكون هذا المبحث من مطلبين الأول تضمن محنة تأخر استجابة القبائل العربية لدعوة النبي وقد تم ذكر عدد من مواقف القبائل العربية من الدعوة الإسلامية وقسم الى قسمين : الأول أسباب بحث النبي عن بيئة ثانية لنشر الدعوة أما القسم الثاني فتضمن رد هذه القبائل على طلب النبي إما المطلب الثاني فقد تضمن فوائد هذه المحنة وقد قسم الى عدة فقرات تضمن رد كل قبيلة وما شابهها في الرد على حدا، إما المبحث الثالث فقد تحدث عن نفي النبي والمسلمين في الشعب وتكون هذا المبحث من مطلبين الأول اشتمل على ذكر المحنة والحصار الاقتصادي والاجتماعي والسياسي للمسلمين عامة وبني هاشم خاصة وتكون من قسمين الأول: موقف قريش من صمود بني هاشم ونصرة النبي أما الثاني فتضمن تظافر الجهود لنصرة بني هاشم وإنهاء المقاطعة، وتحدث المطلب الثاني عن الآثار التي تمخضت عن هذه المحنة وقسمت الى قسمين : الأول تضمن تأثير المحنة على المسلمون أما الثاني فقد كرس لأثر هذه الحادثة على المشركين مثل تأثر بعضهم بحال المحاصرين وتغيير تفكيرهم مما أدى الى انقسام رأيهم وقد صب هذا في مصلحة الإسلام والمسلمين، فيما تحدث المبحث الرابع عن محنة الهجرة من البلاد وترك الديار وتكون هذا المبحث من مطلبين إما الأول يتحدث عن الهجرة وثار وصعوبة ترك الديار كما يتحدث عن الهجرة الى الحبشة والهجرة الى المدينة المنورة بصورة مختصرة ، في حين يتحدث المطلب الثاني عن الآثار التي أنتجتها هذه المحنة .

وفي النهاية أود إن أسجل شكري لكل من ساعدني في انجاز هذه المادة مهما كانت حجم المساعدة وأرجو إن أكون قد وفقت في كتابة هذا العمل ولا ادعي الكمال في هذا العمل لان الكمال لله وحده فما كان فيه من توفيق فمن الله العزيز القدير وما كان فيه من إخفاق فمن نفسي ومن الشيطان وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

المبحث الأول : معاناة مسلمون الأوائل في مكة قبل الهجرة

وتكون بدوره من مطلبين : الأول تحدث عن معاناة المسلمين الأوائل في مكة ، إما الثاني فتحدث عن اثر هذه المحنة على المجتمع الإسلامي وقسم الى قسمين اختص الأول بالأثار الايجابية العامة للدعوة الإسلامية أما القسم الثاني فكرس للأثار الايجابية الخاصة التي اختص بها بعض الصحابة .

المطلب الأول : معاناة مسلمين الأوائل في مكة قبل الهجرة

لقد عانى المسلمون الأوائل من ظلم واضطهاد المشركين لاسيما الضعفاء منهم بقصد إعادتهم الى حضيرة الكفر المقيت

ولان قسماً من هؤلاء المسلمين كانوا فقراء أو عبيداً لدى المشركين فقد زادوا من أذيتهم بدعوى امتلاكهم اياهم ومن هذا الاضطهاد ما ذكره خباب بن الأرت(*) الذي كان يعمل حدادا(١)، فقرر المشركون أن يعذبوه في النار من خلال أن يحمى الحديد ويدخل في جسمه حتى تذهب حرارة الحديد فيروى ان خباب قال للفاروق عمر بن الخطاب ((يا أمير المؤمنين، أنظر إلى ظهري، فقال عمر: ما رأيت كاليوم قال: أوقدوا لي ناراً فما أطفأها إلا وَدَكُ(*) ظهري))(٢)، ويبدو إن هذه الجراحات استمرت حتى بعد الهجرة الى المدينة فيروى ،عن قيس قال أتينا خباب ابن الأرت نعوده وقد اكتوى سبعا فقال لولا أن رسول الله نهانا أن ندعو بالموت لدعوت به(٣)،مما يدلل على عظم المحنة التي عليها هذا الصحابي الكريم ، وهذه زنيرةالرومية(*) التي كانت تعذب في الله وكان ابو جهل ((قد عذّبت حتى عميت فقال لها أبو جهل: إن اللات والعزّى فعلتا بك ما ترين فقالت، وهي لا تبصر: وما تدري اللات والعزى من يعبدهما، ولكن هذا أمر من السماء وربيّ قادر على أن يرد بصري فأصبحت تلك الليلة وقد رد اللّه بصرها، فقالت قريش: هذا من سحر محمد فاشتراها أبو بكر عنه فأعتقها))(٤)، ومن المؤمنين من ألبسوه ادرع الحديد وصهروه في الشمس مثل صهيب وعمار والمقداد وبلال(٥)،لقد كانت محنة هؤلاء الصحابة كبيرة فما هي الفوائد التي أفادها هؤلاء من هذه المحن؟

(*)خباب بن الأرتّ بن جندلة بن سعد التميمي : صحابي، من السابقين، قيل أسلم سادس ستة، وهو أول من أظهر إسلامه كان في الجاهلية قينا يعمل السيوف، بمكة ولما أسلم استضعفه المشركون فعذبوه ليرجع عن دينه، فصبر، إلى أن كانت الهجرة. ثم شهد المشاهد كلها، ونزل الكوفة فمات فيها وهو ابن ٧٣ سنة. ينظر : الزركلي ، الاعلام ،٣٠١/٢ .

(١) الكاندهلوي ، حياة الصحابة ، ٣٥٢/١.

(*) ودك : الدسم وقيل دسم اللحم . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، ٥٩٠/١٠ .

(٢) الكاندهلوي ، المرجع السابق ، ٣٥٢/١.

(٣) البخاري ، صحيح ، ٢٦٤٣/٦ .ط ابن كثير

(*) زنيرة الرومية : امة رومية كانت مملوكة لبني مخزوم وكانت من المؤمنات الاوائل وعذبت حتى عميت فاعتقها ابي بكر الصديق. ينظر : ابن كثير ، السيرة النبوية ، ٤٣٦/١ .

(٤) الصالحي ، سبل الهدى والرشاد ، ٣٦١/٢ .

(٥) ابن كثير ، المصدر السابق ، ٤٣٦/١ .

المطلب الثاني : اثر محنة معاناة المسلمون الأوائل على المجتمع الإسلامي

لقد أنتج الصبر والإخلاص والثبات على الموقف والتحمل في ذات الله كثيراً من الفوائد منها ما كانت فائدة للدين الإسلامي عامة ومنها ما كانت فائدة للشخص المضحي بنفسه المتحمل هذه الجراحات وكما سنبين

أولاً : الأثار الايجابية العامة لمحنة معاناة المسلمين في مكة

لقد أنتجت محنة معاناة المسلمين المعذبون في مكة نتائج ايجابية لصالح الدعوة الاسلامية ومن هذه لأثار أنها ،لفتت الأنظار الى عظمة هذا الدين من قبل المشركون المعاندون ومن قبل المشركون الذين وقفوا على الحياد في هذه المحنة ولم يكن لهم موقف سيء من المسلمين إذ بدء الناس يتسألون ما هي هذه القوة الكامنة في داخل هؤلاء وهم من هم ضعفاً أليس هذا الدين هو الذي يعطي قوة التحمل وهؤلاء المستضعفون الذين ما كانوا يجرؤن على الرد على أسيادهم كيف يقاومون عذابهم ويتحملون إذاهم ويغلبونهم بصبرهم ، بالإضافة الى إن الإسلام بدء ينتشر على الرغم من الشدة التي اتبعها مشركي مكة فيروى ، فاشتد هؤلاء ورؤساء سائر قبائل قريش على من أسلم منهم، يعذبون من لا منعة عنده، ويؤذون من لا يقدرون على عذابه، والإسلام على هذا يفشو فى الرجال والنساء[٦] ،فضلاً على إن هذه المحنة أثرت ايجابيا في بناء جيل قوي قادر تحمل أعباء المسؤولية ونشر الدعوة وتحمل المصاعب من اجل هذا الدين وذلك كله لم يكن لولا تقدير الله عز وجل بإيجاد هذا الجيل.

ثانياً : الأثار الايجابية الخاصة لمحنة معاناة المسلمون في مكة

كما إن لهذه المحنة أثار عامة فقد كان لها أثار خاصة اختص بها أفراداً من المؤمنين حسنت من وضعهم ورفعت من مكانتهم ومن تلك الأثار ما قام به الكثير من الميسورين من الصحابة لان ينهوا معاناة هؤلاء الصابرين وذلك بأن يشتروهم من مالكيهم كما فعل أبي بكر الصديق من عتق بلال وعامر بن فهيرة وغيرهم[٧]، فكانت هذه المحنة التي مر بها هؤلاء الكرام منحة من الله عليهم فقد اعتقوا من بعد الرق وحرروا من بعد الاستعباد ، إضافة الى ما ذكر فقد أثرت المحنة مستقبلا في ارتفاع شأن هؤلاء المستضعفين في الإسلام فقد أصبحوا من كبار أصحاب النبيﷺ بعد إن كانوا رقيقاً يباع ويشترى كأنهم متاع وليس ادل على هذا من كلام ما روي عن ، سهيل بن عمرو أنه قدم المدينة في جماعة من شيوخ

---

(٦) ابن حزم ، جوامع السيرة ، ٤٣ .

(٧) محمد أبو زهرة ، خاتم النبيين ،٣٥١/١ .

قريش فاستأذنوا على عمر، فلم يأذن لهم، واستأذن عليه أناس من فقراء المسلمين وضعفائهم، فأذن لهم، فغضبوا فقال سهيل : فإن كنتم ولا بد غاضبين فاغضبوا على أنفسكم، فإن الله تعالى دعا هؤلاء فأسرعوا، ودعاكم فأبطأتم، والله إن الذي سبقوكم فيه، من الخير خير من الذي تنافسون فيه في هذا الباب، ولا أرى لأحد منكم أن يلحق بهم إلا أن يخرج إلى هذا الوجه من الجهاد، لعل الله تعالى يرزقه الشهادة[٨] .

المبحث الثاني : تأخر تلبية القبائل العربية لدعوة النبي

تكون هذا المبحث من مطلبين الأول تضمن محنة تأخر استجابة القبائل العربية لدعوة النبي وقد تم ذكر عددا من مواقف القبائل العربية من الدعوة الإسلامية وقسم الى قسمين : الأول أسباب بحث النبي عن بيئة ثانية لنشر الدعوة أما القسم الثاني فتضمن رد هذه القبائل على طلب النبي إما المطلب الثاني فقد تضمن فوائد هذه المحنة وقد قسم الى عدة فقرات تضمن رد كل قبيلة وما شابهها في الرد على حدا .

المطلب الأول : محنة رفض القبائل لدعوة النبي في مكة

لمعرفة محنة رفض القبائل لدعوة النبي في إيواء المسلمين والمساهمة في تبليغ الدعوة الإسلامية لابد من معرفة أسباب رغبة النبي في البحث عن بيئة ثانية بديلة لمكة في تبليغ الدعوة فضلا عن معرفة رد هذه القبائل في إيواء المسلمون وتبليغ الدعوة الإسلامية للناس .

أولاً : أسباب رغبة النبي في البحث عن بيئة ثانية لنشر الإسلام

عندما استمرت قريش بأعمالها مع أصحاب النبي من إغلاظ وتعذيب وقتل وتشريد مات الكثير منهم على هذا الحال العصيب عندها رأى النبيﷺ إن يجد بيئة ثانية ينشر بها دين الله عز وجل بعد إن أصر المشركون من قريش رفضهم وعدم تقبلهم للدعوة الإسلامية متمسكين بدين الإباء والأجداد وان كان هذا الدين ضال مضل ، فبدء النبيﷺ يعرض نفسه ودين الله على القبائل العربية عسى ولعل آن تؤويه ليبلغ دين الله، ومن هذه القبائل : بنو عامر، وغسّان، وبنو فزارة، وبنو مرّة، وبنو حنيفة، وبنو سليم، وبنو عبس، وبنو نصر، وثعلبة بن عكابة، وكندة، وكلب، وبنو الحارث بن كعب، وبنو عذرة، وقيس بن الخطيم ، وأبو الحيسر أنس

(٨) اليافعي ، مرآة الجنان ، ٦٤/١ .

بن أبي رافع[٩] ،وكان النبيﷺ يقدم القبيلة من العرب فيقول يا بني فلان إني رسول الله إليكم يأمركم إن تعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئاً وان تخلعوا ما تعبدوه من دونه هذه الأنداد وان تؤمنوا بي وتصدقوا بي وتمنعوني حتى أبين عن الله ما بعثني به وكان أبو لهب وراءه يقول للناس: لا تسمعوا منه فإنه كذّاب! وكان أحياء العرب يتركونه لما يسمعون لرجل من قريش يقول فيه: إنه كاذب، إنه ساحر، إنه كاهن، إنه شاعر!! أكاذيب يقترفونه بها حسدا من عند أنفسهم وبغيا، فيصغي إليهم من لا تمييز له من أحياء العرب. وأما الألباء فإنّهم إذا سمعوا كلامه ﷺوتفهّموه شهدوا بأن ما يقوله حقّ وصدق، وأن قومه يفترون عليه الكذب، فيسلمون[١٠] .

ثانياً: رد القبائل على دعوة النبي

لقد كان مواقف القبائل العربية متباين بطبيعة الحال في الرد على النبيﷺ فأما قبيلة كندة دعاهم النبيﷺ، ((إلى الله وعرض عليهم نفسه، فأبوا أن يقبلوا منه نقمة عليه))[١١] ،ثم أتى حياً من كلب يقال لهم بنو عبد الله، فقال لهم: يا بني عبد الله أن الله قد أحسن اسم أبيكم، فلم يقبلوا، فأعرض عنه[١٢] ، وعرض على بني عامر بن صعصعة أي فقال له رجل منهم: ((أرأيت إن نحن بايعناك على أمرك ثم أظفرك الله على من خالفك أيكون لنا الأمر من بعدك، فقال: الأمر إلى الله يضعه حيث شاء؛ قال: فقال له، أنقاتل العرب دونك))[١٣] ، فرفضوا الدعوة الى الإسلام ، كما أتى النبيﷺ بني عبس وبني سليم وغسان وبني محارب وفزارة وبني نضر ومرة وعذرة والحضارمة، فيردون عليه أقبح الرد ويقولون: أسرتك وعشيرتك أعلم بك حيث لم يتبعوك، ولم يكن أحد من العرب أقبح ردا عليه من بني حنيفة[١٤]،وكان أبو بكرﷺ يرافق النبيﷺ لمعرفة بأنساب العرب وبطونهم فعرض الإسلام على بني شيبان فسألوه ((. . . فإلام تدعو يا أخا قريش؟ فتقدم رسول الله فقال: أدعو إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأني رسول الله، وإلى أن تؤووني وتنصروني، فإن قريشا قد تظاهرت أي تعاونت على أمر الله وكذبت رسوله، واستغنت بالباطل عن الحق، والله هو الغني الحميد)) وقالوا وإلام تدعو أيضا يا أخا قريش؟ فتلا رسول الله

---

(٩) المقريزي ، إمتاع الإسماع ، ٤٩/١ .

(١٠) ابن هشام ، السيرة ، ٤٢٣/١ .

(١١) ابن إسحاق ، السيرة النبوية ،٢٣٢ .

(١٢) ابن إسحاق ، السيرة النبوية ،٢٣٢ .

(١٣) الحلبي ، السيرة الحلبيه ، ٣/٢-٩ .

(١٤) الحلبي ، السيرة الحلبية ، ٣/٢-٩ .

([١٥])، ((إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسانِ وَإِيتاءِ ذِي الْقُرْبى وَيَنْهى عَنِ الْفَحْشاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ))([١٦])،فقالوا: دعوت والله إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال، ولقد أفك قوم أي صرفوا عن الحق كذبوك وظاهروا أي عاونوا عليك([١٧])، وكان بنو شيبان يتشاورون فيما بينهم قبل أعطاء قرارهم فيما يخص أمورهم وبعد مشاورات ، قالوا : ((إن أحببت أن نؤويك وننصرك مما يلي مياه العرب دون ما يلي أنهار كسرى فعلنا، فإنا إنما نزلنا على عهد أخذه علينا كسرى: أن لا نحدث حدثا، وأن لا نؤوي محدثا وإني أرى هذا الأمر الذي تدعونا إليه أنت هو مما تكرهه الملوك فقال رسول الله: ما أسأتم في الرد، إذ أفصحتم بالصدق، وإن دين الله عز وجل لن ينصره إلا من أحاط به من جميع جوانبه))([١٨])، أما موقف قبيلة بكر بن وائل من الدعوة النبوية فقد ، أتاهم النبي فقال لهم: ((كيف العدد فيكم، قالوا: كثير مثل الثرى، قال: فكيف المنعة؟ قالوا: لا منعة، جاورنا فارس فنحن لا نمنع منهم ولا نجير عليهم))([١٩])،إما أهل الطائف فكان ردهم على النبي قاسياً،((فقد كذبوه وأغروا به سفهاءهم وعبيدهم: يسبونه ويصيحون به حتى اجتمع عليه الناس وألجئوه الى بستان لعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وهما فيه، ورجع عنه من سفهاء ثقيف من كان يتبعه فعمد الى ظل فجلس فيه، وابنا ربيعة ينظران أليه، ويريان ما يلقى من سفهاء أهل الطائف))([٢٠])،إن من يقرأ هذا الكلام يجد عظم المحنة التي مر بها النبي وهو يدعو الى الله ولكن هذه المحنة كانت تحوي منحة للإسلام ولنبي الإسلام واثر ايجابي على المجتمع الإسلامي ككل .

المطلب الثاني : الأثر الايجابي لمحنة تأخر دخول القبائل العربية في الإسلام على المجتمع الإسلامي

لقد أمضى النبيﷺ فترة طويلة وجهود عظيمة في دعوة الناس الى الله ولكن بدون جدوى وهو امرأ مقدراً من الله لحكمة يعلمها سبحانه وتخفى على الناس إلا إن من خلال تفحص النصوص التي حوت طرق الدعوة الى القبائل والرد الذي تمثل في كل قبيلة على حدا ليسنى لنا معرفة الأثر الايجابي لهذه المحنة، نجد إن هذه

([١٥]) الحلبي ، السيرة الحلبية ، ٢/٣-٩.

([١٦]) النحل ، الآية :٩٠.

([١٧]) الحلبي ، السيرة الحلبيه ، ٢/٣-٩.

([١٨]) الحلبي ، السيرة الحلبية ، ٢/٣-٩.

([١٩]) الحلبي ، السيرة الحلبية ، ٢/٣-٩.

([٢٠]) البيهقي ، دلائل النبوة ، ٢/٤١٥.

القبائل لم تكن مؤهلة لتكون البيئة المناسبة لاحتضان الدين الإسلامي والتبليغ بالرسالة بما تحمله من عناء ومشقة وتضحية وفداء من دون مقابل وسنذكر كل قبيلة بصورة مستقلة ليتسنى لنا إن نحلل موقفها ونعرف الآثار المترتبة لهذه المحنة على المجتمع الإسلامي وسنأخذ كل صنف على حدا :

١. قبيلة كندة

فقبيلة كندة من القبائل العربية التي كان لها ماضي تليد في الملك، فقد كانت تمثل احد ممالك العرب قبل الإسلام([٢١])،وكان ردهم كما بينا سابقاً أنهم ، أبوا أن يقبلوا منه نقمة عليه([٢٢])، ذلك إن الذي فيه أصل الملك لا يمكن إن يكون منقاد الى غيره لسبق الملك فيه ، كما إن الملك يختلف عن النبوة وشتان بين الاثنين فالملك يحمل الناس بالقوة والجبر أما النبوة فهي تميل الى الإقناع فكان من الفوائد إن ترفض قبيلة كندة هذا العرض حتى لا تصبح الرسالة الإسلامية ملكا عضوضا فأضحت فائدة بعد كان في البداية يمثل محنة.

٢. قبيلة بني عامر

وهي ما مثلته قبيلة بني عامر بن صعصعة فهي على الرغم من قوتها ومنعتها فهي لا تملك روح التضحية من دون مقابل وهو ما يتطلبه نشر الدين فالذي يشترط المكاسب مقدماً ، ((. . .أيكون لنا الأمر من بعدك . . .))([٢٣]) ، لا يمكن إن يكون مؤتمناً على الدعوة التي ستبلغ الأفاق لأنه يريد من خلال نصره للدين تحصيل مكسب دنيوي وان لم يتحقق هذا النصر قد يتخلى عن الدعوة وبالتالي تكون عرضة للفشل والانهزام وهي الفائدة التي أنتجتها محنة رفض قبيلة بني عامر لتلبية دعوة النبي.

٣. قبائل عبس وذبيان وغسان وغيرهم

وهو ما مثلته قبائل بني عبس وبني سليم وغسان وبني محارب وفزارة وبني نضر وغيرهم ممن ذكرهم الواقدي فأن ردهم كان أقبح الرد فكانوا يقولون: أسرتك وعشيرتك أعلم بك حيث لم يتبعوك، ولم يكن أحد من العرب أقبح ردا عليه من بني حنيفة([٢٤])، وفي الحقيقة إن هذا الرد يخالف المنطق السليم إذا إن الإنسان إذا أراد

([٢١]) جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب ، ٥/٦؛ محمد بيومي ، دراسات ، ٥٣٧؛ توفيق برو ، تاريخ العرب ، ٢٣٥ .

([٢٢]) ابن إسحاق ، السيرة النبوية ،٢٣٢ .

([٢٣]) الحلبي ، السيرة الحلبية ، ٣/٢-٩ .

([٢٤]) الحلبي ، السيرة الحلبية ، ٣/٢-٩ .

إن يحكم على فكرة معينة بالخطأ أو الصواب لابد إن يفهمها جيداً ولا يخلط الأمور ببعضها ولا يحمل صاحب الفكرة وزر غيره ، فما ذنب النبي إذا كانت قبيلته لم تؤمن به فأن قريش لم تؤمن لأنها كانت تخاف على مكاسبها الدنيوية ، فقوم هذا ردهم لا يصلحون لحمل الرسالة الإسلامية وتبليغها للناس ، كما إن الذي يرى في قريش بكل ما تحمله من غطرسة وشرك مثالاً يحتذى لا يمكن إن يتقبل التغيير الناتج عن الدخول في الإسلام ، فكان قدر الله وحكمته في رفض هذه القبائل للدعوة فائدة للإسلام ونبيه .

٤. قبيلة بني شيبان

وهي ما مثلته قبيلة بني شيبان وهم أفضل القبائل رداً غير أنهم يراعون –التوازنات الدولية– إذا صح التعبير ومن ذلك ما ذكروه عن كسرى وعهدهم معه بان لا يأوو محدثاً وهو مخالف لما جاء به النبي من الهدى للعالم اجمع وليس لأمة العرب خاصة الأمر الذي قد يوقف مسيرة الدعوة بعد إسلام العرب ، وهو ما يجعلهم غير أكفاء في حمل الرسالة وهو ما عبر عنه النبيﷺ بقوله ، وإن دين الله عز وجل لن ينصره إلا من أحاط به من جميع جوانبه[٢٥]، وهذا الأثر الايجابي الذي ترتب على رفض هذه القبيلة للإسلام لان الإسلام يحتاج من ينصره ولا ينظر الى التوازنات الدولية لان الدين الإسلامي لم يأتي للعرب خاصة بل جاء للناس عامة.

٥. قبائل هوازن وثقيف

ومثل هذا الصنف من أهل الطائف فعلى الرغم من قوتهم وغناهم فأنهم كانوا مرتبطين مع أهل مكة بأحلاف سياسية واقتصادية الأمر الذي ينذر بتخلل القاعدة التي تؤسس للإسلام مستقبلا فكان من الفوائد لهذه المحنة إن يرفضوا الدعوة ويغلظوا بالقول والفعل .

٦. الأنصار الأوس والخزرج

وقد مثل هذا الاتجاه الأنصار فقد كانت الحكمة الأبرز لمحنة رفض القبائل إيواء النبيﷺ والمسلمين هي تهيئة الله لقوم فيهم جميع المميزات وهم الأنصار (الأوس والخزرج) فهم من جهة محتاجون للنبي ليوحد صفوفهم بعد أن أنهكتهم الحرب ، وهم أهل عدد وعز ومنعة ، ومن جهة أخرى لم يشترطوا على النبي أي شرط مقابل إن يحموا النبي والمسلمون ،فضلاً عن كونهم لا يعيرون أهمية للتوازنات الدولية فلم يكونوا مرتبطين بمعاهدات مع أي جهة لها ثقل عالمي أو إقليمي مثل الفرس والروم وحتى معاهداتهم مع اليهود أفصحوا

(٢٥) الحلبي ، السيرة الحلبية ، ٢/٣–٩.

صراحة على قطعها قبل الهجرة ، بالإضافة الى كونهم يحملون من مكارم الأخلاق الشيء الكثير ، الأمر الذي جعلهم مهيئون لاستقبال ونشر الدعوة وهو ما لم يتوفر في جميع القبائل التي دعاها النبيﷺ .

المبحث الثالث : نفي النبي والمسلمون في الشعب

يتكون هذا المبحث من مطلبين الأول اشتمل على ذكر المحنة والحصار الاقتصادي والاجتماعي والسياسي للمسلمين عامة وبني هاشم خاصة وتكون من قسمين الأول: موقف قريش من صمود بني هاشم ونصرة النبي أما الثاني فتضمن تظافر الجهود لنصرة بني هاشم وإنهاء المقاطعة، وتحدث المطلب الثاني عن الآثار التي تمخضت عن هذه المحنة وقسمت الى قسمين : الأول تضمن تأثير المحنة على المسلمون أما الثاني فقد كرس لأثر هذه الحادثة على المشركين مثل تأثر بعضهم بحال المحاصرين وتغيير تفكيرهم مما أدى الى انقسام رأيهم وقد صب هذا في مصلحة الإسلام والمسلمين .

المطلب الأول: محنة نفي النبي والمسلمين في الشعب

ليتسنى لنا الاطلاع على محنة نفي بنو هاشم وبنو المطلب في شعب الجبال لابد من معرفة الأسباب التي دعت المشركين لهذا الأمر فضلاً عن تغيير الموقف بالنسبة لبعض المشركين وكما سنبين

أولاً: موقف قريش من صمود بني هاشم ونصرة النبي

لما مضى رسول اللهﷺ على الذي بعث به وقامت بنو هاشم وبنو المطلب دونه وأبوا أن يسلموه وهم من خلافه على مثل ما قومهم عليه إلا أنهم أنفوا أن يستذلوا ويسلموا أخاهم لمن فارقه من قومه، فلما فعلت ذلك بنو هاشم، وبنو المطلب،وعرفت قريش أنه لا سبيل إلى محمد معهم، اجتمعوا على أن يكتبوا فيما بينهم على بني هاشم وبني المطلب ألا يناكحوهم ولا ينكحوا إليهم، ولا يبايعونهم ولا يبتاعون منهم، فكتبوا صحيفة في ذلك، وكتب في الصحيفة عكرمة بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار، وعلقوها بالكعبة، ثم عدوا على من أسلم فأوثقوهم، وآذوهم، واشتد البلاء عليهم، وعظمت الفتنة فيهم وزلزلوا زلزالاً شديداً[٢٦]، فلما سمعت قريش بذلك،ورأوا من أبو طالب الجد في نصرة أبن أخيه وحمايته فأظهروا لبني هاشم الجفاء وقتل النبي محمد[٢٧]،ثم ادخل أبي طالب النبي الشعب ودعا بني هاشم لحماية النبي والدفاع عنه وهم في هذا مؤمن دخل لنصرة النبي ومشرك يحمي ابن عمه ،((وآذوا النبي وأصحابه أذى شديداً وضربوهم في كل طريق وحصروهم في شعبهم وقطعوا عنهم المادة من الأسواق، فلم يدعوا أحدا من الناس

([٢٦]) ابن إسحاق ، السيرة النبوية ، ١٥٦/١.

([٢٧]) ابن إسحاق ، السيرة النبوية ، ١٥٦/١.

يدخل عليهم طعاماً ولا شيئاً مما يرفق بهم، وكانوا يخرجون من الشعب إلى الموسم))[٢٨]، وكانت قريش تبادرهم إلى الأسواق فيشترونها ويغلونها عليهم، ونادى منادي الوليد بن المغيرة في قريش: أيما رجل وجدتموه عند طعام يشتريه فزيدوا عليه[٢٩]،وكان ذلك ثلاث سنين حتى بلغ القوم الجهد الشديد، وحتى سمعوا أصوات صبيانهم يتضاغون من وراء الشعب [٣٠] .

ثانياً : تظافر الجهود لنصرة بني هاشم وإنهاء المقاطعة

لم يكن وضع المحاصرين من بني هاشم وبني المطلب ليرضي كل أهل مكة وان كانوا متفقين على الشرك لكنهم كانوا يرون إن لهم أرحاما لابد من وصلها لذا ، أراد رجال – أي من قريش – منهم أن يبرءوا منها[٣١]،وكانت قريش تسمع من الليل أصوات صبيان بني هاشم الذين في الشعب يتضاغون من الجوع، فإذا أصبحوا جلسوا عند الكعبة فيسأل بعضهم بعضاً، فيقول الرجل لصاحبه: كيف بات أهلك البارحة؟ فيقول: بخير، فيقول: لكن أخوانكم هؤلاء الذين في الشعب بات صبيانهم يتضاغون من الجوع حتى أصبحوا، فمنهم من يعجبه ما يلقى محمد ورهطه، ومنهم من يكره[٣٢]،الأمر الذي دفع((رجالا من مشركي قريش يرسلون سراً المؤن الى المحاصرين في الشعب رغم اعتراض أبو جهل وصحبه))[٣٣]، ثم سلط الله عز وجل حشرة تدعى الأرضة فأكلتها ولم تدع إلا اسم الله فلما علم النبي بهذا اخبر عمه ابا طالب فصدقه وكيف لا وهو محمد الصادق الأمين ثم قام أبو طالب بإخبار قريش خبر الصحيفة وكيف أن الله سلط عليها الأرضة[٣٤]،عندها قال المطعم بن عدي وهشام بن عمرو : ((نحن براء من هذه الصحيفة القاطعة العادية الظالمة، ولن نمالئ أحداً في فساد أنفسنا وأشرافنا، وتتابع على ذلك ناس من أشراف قريش، فخرج أقوام من شعبهم وقد أصابهم الجهد الشديد)) [٣٥]، ثم انه قام في نقض الصحيفة جمعا من كبراء أهل مكة فقال احدهم : ((يا أهل مكة أنأكل الطعام ونشرب الشراب، ونلبس الثياب، وبنو هاشم بنو المطلب هلكى لا يباعون ولا يباع منهم، ولا ينكحون ولا ينكح

([٢٨]) المقريزي ، إمتاع الإسماع ، ٤٤/١ .

([٢٩]) ابن إسحاق ، السيرة النبوية ، ١٥٦/١ .

([٣٠]) البيهقي ، دلائل النبوة ،٣١٥/٢ .

([٣١]) ابن إسحاق ، السيرة النبوية ، ١٥٧/١ .

([٣٢]) ابن إسحاق ، السيرة النبوية ، ١٥٨/١ .

([٣٣]) الحلبي ، السيرة الحلبية ،٤٨٣/١ .

([٣٤]) الخركوشي ، شرف المصطفى ، ٣٦٤/٣ .

([٣٥]) ابن إسحاق ، السيرة النبوية ، ١٥٩/١ .

إليهم، والله لا أذوق طعاماً ولا شراباً حتى تشق هذه الصحيفة الظالمة القاطعة))فاختلفوا فيما بينهم وانتهوا الى الصحيفة لشقها فوجدوا الأرضة قد أكلتها ([٣٦]،وكانت هذه محنة حصار الشعب وما أعظمها من محنة غير إن تلك المحنة قد أنتجت أثرا ايجابياً ولعل من حق السائل حين يقول ما الفائدة التي يرجى من هذه المحنة العظيمة ؟

المطلب الثاني : اثأر محنة الحصار على المجتمع الإسلامي

من حكمة الله عز وجل إن يجعل الخير في الابتلاءات وان ما يضنه الإنسان شراً محضاً في البداية تتكشف الأحوال عليه فيكون فيه خيراً وسنأخذ أثار هذه المحنة على المسلمين وعلى المشركين كلاً على حد ا:

١. أثار المحنة على المسلمين

لقد أثرت هذه المحنة تأثيراً ايجابياً على المسلمين وهو مصداق لقول الله تعالى ،((وَعَسى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ)) ([٣٧])، فمن الآثار التي ألقت بضلالها على المجتمع الإسلامي هي ،ازدياد إعجاب المشركون في مكة وفي خارجها بصبر المسلمون وإصرارهم وتفانيهم في سبيل الدين وهي فائدة تندرج في سبيل تمهيد دخول هؤلاء أو بعضهم في الإسلام مستقبلاً إذا ما رفعت الحواجز التي تحول دون دخولهم ، فضلا عن الأثر الذي ذكرها احد المؤرخين ، إن الدعوة الإسلامية كانت تحقق انتصارات رائعة في الحبشة، وفي نجران، وفي أزد شنوءة، وفي دَوْس، وفي غفار، وكانت تتم في خط واضح, سيكون سندًا للإسلام والمسلمين ومراكز قوى يمكن أن تتحرك في اللحظة الحاسمة، وامتدادات للدعوة، تتجاوز حدود مكة الصلدة المستعصية([٣٨])،فكانت مكة تمثل القاعدة التي يرتكز عليه المسلمون في خارجها فمسالة ثبات المسلمين في الداخل في الواقع هو إمداد للمسلمين في الخارج إذ لا يمكن إن يتم بناء من دون قاعدة أو أساس، كما أن من الآثار التي ترتبت على هذه المحنة المكافاءة الفقهية الاقتصادية لبني هاشم وبني المطلب ، إذ كان لوقوف بني هاشم وبني المطلب مع رسول الله وتحملهم معه الحصار الاقتصادي والاجتماعي أثر في الفقه الإسلامي، حيث إن

([٣٦]) الصالحي ، سبل الهدى والرشاد ، ٤١٤/٢.

([٣٧]) البقرة ، الآية :٢١٦.

([٣٨]) علي الصلابي ، السيرة النبوية ، ١٨٥.

سهم ذوي القربى من الخمس يعطى لبني هاشم وبني المطلب, ويوضح ابن كثير هذا الحكم لدى تفسيره قوله تعالى: ((وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ للهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِن كُنتُمْ آمَنْتُمْ بِاللهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ))(٣٩)، ،فيقول: «وأما سهم ذوي القربى, فإنه يصرف إلى بني هاشم, وبني المطلب؛ لأن بني المطلب وأزروا بني هاشم في الجاهلية, وفي أول الإسلام، ودخلوا معهم في الشعب غضبًا لرسول الله وحماية لهم، مسلمهم طاعة لله ورسوله وكافرهم حمية للعشيرة وأنفة وطاعة لأبي طالب، وأما بنو عبد شمس, وبنو نوفل, وإن كانوا بني عمهم, فلم يوافقوهم على ذلك, بل حاربوهم ونابذوهم ومالئوا بطون قريش على حرب الرسولﷺ ولهذا كان ذم أبي طالب لهم في قصيدته اللامية أشد من غيرهم لشدة قربهم . . وفي بعض الروايات هذا الحديث: «إنهم لم يفارقونا في جاهلية ولا إسلام» وهذا قول جمهور العلماء إنهم بنو هاشم وبنو المطلب»(٤٠) .

٢ . أثار المحنة على المشركين

لقد أدى ثبات المسلمين وصبرهم إلى انقسام جبهة المشركين لصالح المسلمين ووقوع خلاف ونزاع تعداه الى الاشتباك باليد – كما سبق الذكر – بسبب موقف المشركون من حصار بني هاشم وبني المطلب وقد أنتجت هذه المحنة فائدة إنهاء حكم الصحيفة ومقرراتها في مكة وهو أمر انتظره المحاصرون ثلاث سنوات ،فضلا عن فشل قريش في حمل بني هاشم وبني المطلب لتسليم النبي ليقتلوه مدة ثلاث سنوات مع ما فيها من مرارة وشدة ومحنة عزز الانقسام بين المشركون أنفسهم إذا إن بني هاشم وبني المطلب لم يكونوا جميعا على الإسلام بل أكثرهم كانوا على الشرك غير إن حمية العشيرة أدت الى حماية – ابن العشيرة – النبي الأكرمﷺ ، أضف الى الآثار الأنف ذكرها فقد أدت المحنة الى انتشار الإسلام في داخل مكة وخارجها رغم القسوة والشدة التي أنتجتها محنة الحصار وكما سبق الحديث عن انتشار الإسلام في الحبشة ونجران وأزد شنوءة ودوس وغفار ، كما أدت الى ضعف موقف المشركون من الناحية المعنوية والتي كان يعتمد عليها المشركون في تكذيب النبي الكريمﷺ وكان سبب ذلك الضعف ما حصل للصحيفة حين ابلغهم النبي ان الأرضة قد أكلتها ولم تبقي إلا اسم الله وهي معجزة مادية هيئها

---

(٣٩) الأنفال ، الآية : ٤١ .

(٤٠) ابن كثير ، تفسير ، ٦٣/٤ ط دار طيبة؛ وينظر: علي الصلابي ، السيرة النبوية ، ١٨٧ .

الله لتصديق نبيه ، وكان المشركون يطالبون النبي بها فيما سبق(*) ،إما أنها حصلت في غير توقيتهم فكان هذا اكبر دليل مادي يقنع المشركون الذين يريدون أدلة مادية على صدق النبي الأكرمﷺ ويضعف موقف طغاة مكة فيروى عندما راؤا الصحيفة ، سقط في أيدي القوم ثم نكسوا على رؤسهم ([٤١])،وبالتالي قل تأثيرهم على المشركون في مكة .

المبحث الرابع : الهجرة وترك الديار

يتكون هذا المبحث من مطلبين إما الأول يتحدث عن الهجرة وثار وصعوبة ترك الديار كما يتحدث عن الهجرة الى الحبشة والهجرة الى المدينة المنورة بصورة مختصرة ، في حين يتحدث المطلب الثاني عن الآثار التي أنتجتها هذه المحنة .

المطلب الأول : محنة الهجرة وترك الديار

لمعرفة محنة الهجرة وما أنتجتها من مشاعر سلبية وما تمخضت عنه من أثار ايجابية لابد من معرفة اثر الهجرة على المهاجرين فضلا عن معرفة شيئا عن هجرة المسلمون من مكة الى الحبشة والمدينة المنورة.

أولاً : أثر لهجرة على المهاجرين

الهَجْرُ ضد الوصل وبابه نصر و هِجْرَاناً أيضا والاسم الهِجْرَةُ و المُهَاجَرَةُ من أرض إلى أرض ترك الأولى للثانية ([٤٢])،يعتبر النزوح وترك الديار من المسائل المؤثرة في نفس الإنسان النازح ذلك إنها تجربة تحوي في طياتها مشاعر سلبية نتجت عن ترك الأوطان ومراتع الصبا واستقرار المنزل فضلا عن المصير المجهول الذي يقبل عليه النازح نتيجة صعوبة توفير البديل للسكن وطلب الرزق بالإضافة الى صعوبة التأقلم مع البيئة الجديدة التي انتمى أليها النازح مجبرا لا مختارا وهي بيئة عموما تختلف عنه اجتماعيا واقتصاديا وثقافيا وربما تختلف عنه مناخيا ،وهو ما أكده الصحابة الكرام من خلال ما أفصحوا عنه بهذا الصدد ، فيؤثر عن النبي انه قال في مكة حين الهجرة : ((أعلم أنك أحب بلاد الله إلى الله ولولا أن

(*)طلب المشركون من النبي معجزات مادية ترى بالعين مثل إن يفجر من الأرض ينبوعاً وان تكون له جنات أو يرقى الى السماء بسلم وغيرها من المعجزات العينية . ينظر : الإسراء ، الآية : ٨٩-٩٥.

([٤١]) الخركوشي ، شرف المصطفى ، ٣٦٤/٣.

([٤٢]) الرازي ، مختار الصحاح ، ٧٠٥.

اهلك أخرجوني ما خرجت[٤٣]، كما اثر عن بعض الصحابة أنهم كانوا يكثرون الحنين الى مكة [٤٤] .

ثانياً: هجرة المسلمون الى الحبشة والى لمدينة المنورة

لقد مر الصحابة بهجرتين الأولى الى الحبشة والثانية الى المدينة المنورة والتي سنتناولها بصورة مختصرة فيروى ، في الهجرة الى الحبشة انه لما اشتد البلاء أذن اللّه لهم في الهجرة إلى الحبشة ((فخرج أحد عشر رجلا وأربع نسوة متسللين حتى انتهوا إلى الشعيبة منهم الراكب والماشي. . .فركبوا البحر الى الحبشة فآواهم أصحمة النجاشي ملك الحبشة وأكرمهم))[٤٥]،وعادوا من هناك بعد ١٥ عام من الهجرة الثانية للحبشة ،إما الهجرة الى المدينة فيروى انه ،لما أذن الله تبارك وتعالى لرسوله فى الحرب، وبايعه هذا الحى من الأنصار على الإسلام والنصرة له ولمن اتبعه وأوى إليهم من المسلمين، ((أمر رسول الله أصحابه من قومه ومن معه بمكة من المسلمين بالخروج إلى المدينة والهجرة إليها واللحوق بإخوانهم من الأنصار، وقال: إن الله قد جعل لكم إخوانا ودارا تأمنون بها، فخرجوا إرسالا وأقام رسول الله بمكة ينتظر أن يأذن له ربه فى الخروج من مكة والهجرة إلى المدينة)) [٤٦]،ألا أن الهجرة الى المدينة رغم سريتها لم تخلو من من مضايقات وقع بها المسلمون الذين كشف أمر هجرتهم فيذكر ، ((أن صهيباﷺ حين أراد الهجرة قال له كفار قريش: أتيتنا صعلوكا حقيرا فكثر مالك عندنا وبلغت الذي بلغته، ثم تريد أن تخرج بمالك ونفسك! والله لا يكون ذلك فقال لهم صهيب: أرأيتم إن جعلت لكم مالى أتخلون سبيلى؟ قالوا: نعم قال: فإنى قد جعلت لكم مالى فبلغ ذلك رسول الله فقال: ربح صهيب، ربح صهيب))[٤٧]، لقد كانت هجرة المسلمون لديارهم محنة عصيبة فترك الديار ومرتع الصبا وترك الأهل والزوجة والأولاد في بعض الأحيان ثم التنازل عن الأملاك والدور في سبيل الله والمجيء الى بلد بصفة لاجئ له ابعد الأثر من الناحية النفسية والاجتماعية والاقتصادية ، فما هي الآثار التي ترتبت على هذه المحنة على المجتمع الإسلامي .

([٤٣]) الهيثمي ، مجمع الزوائد ، ٦١٥/٣ .

([٤٤]) ابن هشام ، السيرة النبوية ،٥٨٩/١ .

([٤٥]) المقريزي ، إمتاع الإسماع ، ٣٧/١-٣٨ .

([٤٦]) الكلاعي ، الاكتفاء ، ٢٧٢/١-٢٧٨ .

([٤٧]) الكلاعي ، الاكتفاء ، ٢٧٢/١-٢٧٨ .

المطلب الثاني : اثأر محنة الهجرة وترك الديار على المجتمع الإسلامي

على الرغم من المحنة الكبيرة التي نتجت عن الهجرة سوء الى الحبشة أو الى المدينة المنورة لكنها تمخضت عن اثأر عدة ، لعل من أبرزها إقامة دولة الإسلام من خلال دولة المدينة التي بدئت صغيرة لكنها واتسعت لتشمل في وقت قصير الجزيرة العربية وتحتك بأكبر الأمبراطوريات في ذلك الوقت إلا وهي إمبراطوريتي فارس والروم،بالإضافة الى أن الهجرة حافظت على المؤمنين من الفتنة فأعلن عن انتهاء مأساة المسلمين في مكة بعد إن أصبح لهم بلداً يأويهم وإخوانا يشاركونهم الدين والمصير المشترك ،كما ان المسلمون في المدينة أصبحوا ندا قويا لأهل مكة ،بالإضافة الى اتساع الفرصة للنبي والمسلمين ليدعو الى دينهم بعد إن مارس عليهم المشركون التعتيم والتشويه والكذب في ظل سيطرتهم على الرأي العام في الجزيرة العربية معززين سيطرتهم بضعف المسلمين ، أضف الى هذا انه أصبح للمسلمين قوة تحميهم وتأوي من يلحق بهم من أبناء القبائل وترد على الإساءة بالمثل وتحارب من اجل نصرة الدين وإعلاء كلمة الله على الأرض بعد إن كان المسلمون مستضعفين لا حول لهم ولا قوة ،كما وفرت الهجرة الى الحبشة الجو الملائم امنيا لعبادة الله وحده، دون مضايقة فبني مسجد قباء ثم المسجد النبوي[٤٨]، ولم يلبث إن ازداد عدد المساجد في المدينة المنورة بصورة ملحوظة ، ناهيك على إن تجارة قريش أصبحت بمرمى سهام المسلمين ،ذلك إن المدينة تقع على طريق التجارة المؤدي للشام [٤٩]،وبالتالي مضايقة المشركين وقطع الطريق عنهم إذا تطلب الأمر يكون مطلباً من مطالب الحرب الطويلة مع قريش في المستقبل ،كما أدت الهجرة الى الحبشة لسلب المشركين حلفائهم في المناطق البعيدة إلا وهو النجاشي حاكم الحبشة وما يترتب على ذلك من إضرار اقتصادية ، وعلى المستوى الفردي بشر النبيﷺ بعض الصحابة الذين هاجروا بالجمل من الديار ولم يبق منهم احد يتولى أمر أملاكهم بتعويض الملك في الآخرة ومنها قول النبي لعبد الله بن جحشرضي الله عنه عندما فقد بيته لك به بيتا في الجنة وقوله لصهيبرضي الله عنه ربح البيع أبا يحيى وهو فوائد لهؤلاء الصحابة الكرام .

([٤٨]) السمهودي ، خلاصة الوفا ، ٢٦٧؛٦/٢ .

([٤٩]) احمد إبراهيم الشريف ، مكة والمدينة ،٢٤١ .

الخاتمة

مما تقدم من مباحث العمل يتبين لنا ما يأتي :

١. إن ليست كل محنة تنطوي على نتائج سلبية بحتة فقد تحوي المحنة في طياتها أمورا ايجابياً لكنها تشترط الصبر على المحنة لكي تكون المحنة السلبية منحة ايجابية .

٢. كما إن المسلمين الضعفاء مثل العبيد والموالي الذين لا حول لهم ولا قوة لفتوا أنظار المجتمع المكي وهم يصبرون على ما أصابهم ويردون على تعذيب جبابرة مكة بالصمود والتمسك بالدين الحق .

٣. أسهم صمود المسلمين الأوائل في وجه الظلم والطغيان الى انتشار الإسلام بين الضعفاء والأقوياء على حد سواء إذا إن صبر بلال وعمار وصهيب وغيرهم أدى إلى إن يكون هؤلاء مثالاً يحتذى به العبيد والموالي .

٤. بدأ جبابرة أهل مكة كابي سفيان بن حرب وسهيل بن عمرو وغيرهم بالتساؤل ما هي هذه القوة التي منحت هؤلاء الذي كانوا لا يكادون يذكرون الصبر والصمود وحب الموت على التبديل والرجوع الى الكفر وكان دليلهم أخيراً الى الإسلام .

٥. كما إن المحن لها فوائد دنيوية مثل إعزاز دين الله و تنقية صفوف المسمون ولها فوائد أخروية يلقها المسلمين في الدار الأخرى مثل مغفرة الذنوب ورفع الدرجات وبلوغ منازل الصديقين والشهداء .

٦. كما إن محنة تأخر قبول القبائل العربية الإسلام كانت صعبة على النبي والمسلمين المعذبون في مكة غير أنها في الوقت نفسه كان لها من النتائج المهمة وهي إن كلا من هذه القبائل كان لها مطلب دنيوي قد يحرف مسار الدعوة الحق ويعرضها للمخاطرة والحق يتبع ولا يشرط عليه .

٧. كما إن التأخير وفر التربة الصالحة لغرس الإسلام في مكانه الملائم ألا وهي قبيلتي الأوس والخزرج .

٨. أنتجت محنة حصار بني هاشم في الشعب نتائج عظيمة منها انتصار بني هاشم وبني المطلب على سائر قريش ، وإعجاب العرب بهم وانشقاق صفوف المشركين فيما بينهم.

٩. كما استفاد المسلمون من محنة الهجرة الى المدينة استفادة عظيمة منها إقامة دوله الإسلام وإيواء أهله والرد على من يسيء للإسلام وأهله والضغط على قريش في تجارتها ، وبهذه النتائج التي ذكرت أنفا نختم هذا البحث المتواضع .

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

أولا: المصادر الأولية

ابن إسحاق : محمد بن يسار المطلبي بالولاء (ت : ١٥١هـ – ٧٦٨م)

(١) السيرة النبوية ، تحقيق : سهيل زكار ، دار الفكر (بيروت : ١٩٧٨)ط١.

البخاري: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم (ت:٢٥٦هـ – ٨٦٩م)

(٢) صحيح البخاري ، تحقيق : مصطفى ديب البغا ، دار ابن كثير ، (اليمامة : ١٩٨٩) ط٣.

البيهقي : أبو بكر احمد بن الحسين (ت:٤٥٨هـ – ١٠٦٥م)

(٣)دلائل النبوة ،دار الكتب العلمية ، (بيروت:١٤٠٥هـ) ، ط١.

الحرضي : يحيى بن أبي بكر العامري (ت:٨٩٣ هـ – ١٤٨٨م)

(٤) بهجة المحافل وبغية الأماثل في تلخيص السير والمعجزات والشمائل ، دار صادر ،(بيروت : د/م) .

ابن حزم : أبو محمد علي بن احمد الأندلسي (ت٤٥٦هـ – ١٠٦٤م)

(٥) جوامع السيرة، تحقيق: إحسان عباس ، دار المعارف ، (مصر :١٩٠٠) .

الحلبي : نور الدين علي بن إبراهيم بن احمد (ت:١٠٤٤هـ – ١٦٣٤م)

(٦) السيرة الحلبية المسماة إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون ، دار الكتب العلمية ، (بيروت :١٤٢٧هـ) ، ط٢ .

الخركوشي : عبد الملك بن محمد النيسابوري (ت:٤٠٧هـ – ١٠١٦م)

(٧) شرف المصطفى، دار البشائر الإسلامية ، (مكة : ١٤٢٤هـ) ط١.

الديار بكري : حسين بن محمد بن الحسن (ت:٩٦٦هـ – ١٥٧٤م)

(٨) تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس ، دار صادر ، (بيروت :د/ت) .

الرازي : أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الحنفي (ت٦٦٦هـ – بعد ١٢٦٨م)

(٩) مختار الصحاح ،تحقيق : محمود خاطر ، مكتبة لبنان ناشرون ، (بيروت :١٩٩٥) ط٥ .

السمهودي : نور الدين علي بن احمد (ت :٩١١هـ – ١٥٠٥م)

(١٠) وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى ، تحقيق :خالد عبد الغني محفوظ ، دار الكتب العلمية ، (بيروت :٢٠٠٦) ، ط١ .

ابن سيد الناس : أبو الفتح محمد اليعمري ألربعي (ت:٧٣٤ هـ – ١٣٣٤م)

(١١) عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير ، تعليق : إبراهيم محمد رمضان ، دار القلم (بيروت :١٩٩٣) ، ط١ .

الصالحي : محمد بن يوسف الشامي (ت:٩٤٢هـ – ١٥٣٥م)

(١٢) سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد ، تحقيق وتعليق : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض ، دار الكتب العلمية ، (بيروت :١٩٩٣) ط١ .

الطبراني : أبو القاسم سليمان بن احمد بن أيوب (ت: ٣٦٠هـ – ٩٧٠م)

(١٣) المعجم الكبير ، تحقيق : حمدي بن عبد المجيد السلفي ، مكتبة العلوم والحكم ، (الموصل :١٩٨٥) ، ط٢ .

ابن كثير :أبي الفدا إسماعيل بن عمر الدمشقي (ت٧٧٤هـ – ١٣٧٣م)

(١٤) تفسير القران العظيم ، تحقيق : سامي بن محمد سلامة ، دار طيبة للطباعة والنشر ، (د/م :١٩٩٩) ط٢ .

(١٥) السيرة النبوية ، تحقيق : مصطفى عبد الواحد ،دار المعرفة ، (بيروت :١٩٧٦) .

الكلاعي :أبي الربيع سليمان بن موسى الأندلسي (ت:٥٦٥هـ – ١٢٣٦م)

(١٦) الأكتفاء في مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء ، تحقيق : مصطفى عبد الواحد ، مكتبة الخانجي ، (القاهرة :١٩٧٠) .

المقريزي :أبي العباس احمد بن علي (ت:٨٤٥هـ – ١٤٤١م)

(١٧) إمتاع الإسماع بما للنبي من الأحوال و الأموال والحفدة والمتاع تحقيق : محمد عبد الحميد النميسي ، دار الكتب العلمية ، (بيروت :١٩٩٩) ، ط١.

ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري (ت:٧١١هـ ١٣١١ م)

(١٨) لسان العرب، دار صادر ، (بيروت: ١٩٩٣) ، ط٣.

ابن هشام : محمد بن عبد الملك المعافري (ت:٢١٣هـ – ٨٢٨م)

(١٩) السيرة النبوية ، تحقيق : مصطفى السقا وآخرون ، مصطفى البابي الحلبي، (مصر :١٩٥٥) .

الهيثمي : نور الدين علي بن أبي بكر (ت:٨٠٧هـ – ١٤٠٤م)

(٢٠) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، دار الفكر ، (بيروت : ١٤١٢) .

اليافعي : أبو محمد عبد الله بن أسعد (ت:٧٦٨هـ – ١٣٦٧م)

(٢١)مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان ، تحقيق : خليل منصور ، دار الكتب العلمية ، (بيروت :١٩٩٧) ط١ .

ثانياً : المراجع الثانوية

احمد إبراهيم الشريف

(١) مكة والمدينة في الجاهلية وعصر الرسول صلى الله عليه وسلم ، دار الفكر العربي ، (بيروت : د/ت) .

توفيق برو

(٢) تاريخ العرب القديم ، دار الفكر ، (د/م: ٢٠٠١) ط٢ .

جواد علي

(٣) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، دار الساقي ،(د/م: ٢٠٠٤) ط٤ .

خير الدين الزركلي

(٤) الأعلام ، دار العلم للملايين ،(بيروت : ٢٠٠٢) ، ط١٥ .

علي محمد الصلابي

(٥) السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل إحداث ، دار المعرفة (بيروت :٢٠٠٨) ، ط٨ .

محمد بن احمد أبو زهرة

(٦) خاتم النبيين صلى الله عليه واله وسلم ، دار الفكر العربي ، (القاهرة : ١٤٢٥) .

محمد بيومي مهران

(٧) دراسات في تاريخ العرب القديم ، دار المعرفة الجامعية ،(مصر : د/ت) .

محمد بن يوسف الكاندهلوي

(٨)حياة الصحابة ، تحقيق :بشار عواد معروف ، مؤسسة الرسالة ، (بيروت : ١٩٩٩) .